سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة

ذكرها ابن هشام في سيرته (٢/٢١٣) فقال:

[وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب، مقفله من (بدر الأولى)، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ولا يستكره من أصحابه أحداً].

ونقل الطبري في تاريخه عن الواقدي: [أن رسول الله ﷺ بعث «عبد الله بن جحش» سرية في اثني عشر رجلاً من المهاجرين].

وذكر ابن هشام [أن أصحاب «عبد الله بن جحش» من المهاجرين، ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ومن حلفائهم: عبد الله بن جحش، وهو أمير القوم؛ وعُكَّاشة بن محصن بن حُرْثان، أحد بني أسد بن خزيمة، حليف لهم، ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر، حليف لهم، ومن بني زُهْرة بن كلاب: سعد بن أبي وقاص، ومن بني عدي بن كعب «عامر بن ربيعة»، حليف لهم من عنز بن وائل، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع، أحد بني تميم، حليف لهم، وخالد بن البُكَيْر، أحد بني سعد بن ليث، حليف لهم، ومن بني الحارث بن فهر: سهيل بن بيضاء].

ويمضي ابن هشام فيقول: [فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب كما أمره رسول الله ﷺ ـ فنظر فيه، فإذا فيه:

إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف،

فترصد بها قريشاً، وتعلَّم لنا من أخبارهم، فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب، قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصُد بها قريشاً، حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمعدن، فوق الفُرُع، يقال له: بَحْران، أضل «سعد بن أبي وقاص» و«عتبة بن غزوان» بعيراً لهما، كانا يعتقبانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى «عبد الله بن جحش» وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت عير لقريش تحمل زبيباً وأدَماً، وتجارة من تجارة قريش، فيها «عمرو بن الحضرمي».

ويمضي ابن هشام فيقول: فلما رآهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم «عكَّاشة بن مِحْصَن «وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، وقالوا: عُمَّار، لا بأس عليكم منهم، وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله! لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخُلُنَّ الحرم، فليمتَنِعُنَّ منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام، فتردَّد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى «واقد بن عبد الله التميمي» «عمرو بن الحضرمي» بسهم فقتله، واستأسر «عثمان بن عبد الله» و«الحكم بن كيسان» وأفلت القومَ «نوفلُ بن عبد الله» فأعجزهم، وأقبل «عبد الله بن جحش» وأصحابه بالعير والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة. وقد ذكر بعض آل «عبد الله بن جحش»: أن «عبد الله» قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس، وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم، فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرها بين أصحابه ـ فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فوقَّف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ

من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقِطَ في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعَنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا.

وقالت قريش: قد استحلَّ «محمد» وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال؛ فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان]. وأمَّل اليهود أن تنزل بالمسلمين مصيبة، وتوقعوا لهم الشر المستطير، فقالوا على سبيل التفاؤل على رسول الله ﷺ: ـ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمْرو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب، وواقد بن عبد الله: وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم. ولما كَبُرَ الأمر على «عبد الله بن جحش» وأصحابه، وأكثر الناس في لومهم، أذنت السماء بالفرج، ونزل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧] أي: إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧] أي: قد كانوا يفتنون المسلم في دينه، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧] أي، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين، فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق ـ أي: الخوف ـ قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فداء «عثمان بن عبد الله» و«الحكم بن كيسان» فقال رسول الله ﷺ: لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا ـ يعني: «سعد بن أبي وقاص»، و«عتبة بن غزوان» ـ فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبَيْكم، فقدم «سعد» و«عتبة»، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم.

وهكذا فرج الله تعالى عن «عبد الله بن جحش» وأصحابه، وكشف

كربتهم، وما كان الله ليذر الدفاع عن المؤمنين ويجعل للكافرين عليهم سبيلاً، ومن يؤمن بالله حقاً وصدقاً فإن الله لا يسلمه ولا يخذله، ويجعل له من كل ضيق فرجاً ومخرجاً، ويذلل له الصعب، وييسر له العسير.

وأما ما كان من أمر الأسيرين، فقد أكرم الله «الحكم بن كيسان» فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ، ثم أتم الله تعالى عليه نعمته ورزقه الشهادة يوم «بئر معونة»، وأما «عثمان بن عبد الله» فلم يكن من أهل السعادة، فقد لحق بمكة، ومات كافراً.

وفي سرية «عبد الله بن جحش» وقول قريش: قد أحل «محمد» وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال، قيل شعر نسبه بعضهم إلى «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه، وقال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش:

تَعُدُّون قتلاً في الحرام عظيمةً ... وأعظم منه لو يرى الرشد أرشدُ
صدودكم عما يقول محمدٌ ... وكفرٌ به والله راءٍ وشاهدُ
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله في البيت ساجدُ
فإنا وإن عيَّرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغ وحاسدُ
سقينا من ابن الحضرميّ رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقدُ
دماً وابنُ عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غُلٌّ من القِدِّ عانِدُ[1]

(١) القِدُّ: شرك يقطع من الجلد، عاند: سائل بالدم لا ينقطع.